قراءة في كتاب

آمعيط.. مدخل إلى معجم الحسانية

د سيدي أحمد ولد الأمير

هذه محاولة لقراءة بعض مضامين كتاب: **"آمعيط.. مدخل إلى معجم الحسانية"** وهو كتاب طريف، يجد فيه المهتم باللهجة الحسانية فصولا ممتعة، وعرضا شيقا، وتصورات مؤسسة على مفاهيم لغوية أصيلة، وهو يقع في 300 صفحة تزيد قليلا.

وهذا الكتاب ألفه الباحث الجاد المهندس **عمر سيدي محمد حيبله** الحاصل على ديبلوم تخصصي متقدم في الإلكترونيات، وهو موظف تقلد وظائف سامية في شركة قطر للبتروكيميائيات منذ ثلاثة عقود؛ وشغل وظيفة مسؤول عن الآلات الدقيقة ونظم التحكم في المصانع.

وفي اعتقادي، أن متصفح كتاب **آمعيط مدخل إلى معجم الحسانية**، سيلاحظ دون أدنى تعب أن المؤلف "مهندس في اللغة" كما هو مهندس في الإلكترونيات ونظم التحكم في المصانع إذا جاز التعبير، فهو يقدم لنا قراءة متقدمة في جزئيات الحسانية وتفاصيلها الداخلية الدقيقة، والتي قد لا يتساوى الجميع في رؤيتها كما لا يتساوون في فهم دقائق الإلكترونيات وتفاعلها داخل الخلية، كما يعكس الكتاب فهما عميقا لنظم التحكم في معاني الألفاظ، وتطور تلك المعاني، والاتصال والانفصال بين تلك الحقول الدلالية.

فلا شك أن التفكير العلمي للمؤلف، وفهمه الدقيق والمتخصص في عالم الهندسة الإلكترونية، قد وجهه توجيها موفقا لعوالم اللغة ومعجمها فأبدع في ذلك أيما إبداع، فتفاعلت الدقة العلمية مع تذوق اللغة، والنظرة المخبرية القائمة على التجريب، مع تمرس واضح بمعاني الكلمات، وتتبع حصيف لأصول الألفاظ الحسانية التي تتوزع بين ألفاظ ذات أصل فصيح وأخرى ذات أصل أمازيغي أو إفريقي أو حتى فرنسي، وهو ما عبر عنه المؤلف، في إشارة ذكية، بدعوته إلى ضرورة تصالح مجتمع البيظان مع ذاته التي لها مشارب متنوعة وأصول متعددة، تفاعل التاريخ مع الجغرافيا في صياغتها، فمجتمع البيظان مجتمع عربي أمازيغي إفريقي.

ولفهم المعجم الحساني فقد ظل المؤلف مصطحبا تارة بعض المؤلفات المحلية مثل **إخبار الأحبار بأخبار الآبار** للعلامة الأديب امحمد بن أحمد يوره الديماني (المتوفى في ذي القعدة 1340هـ أي يوليو 1922م)، وتارة يعود إلى المعجم العربي الأمازيغي للكاتب والباحث اللغوي المغربي **الدكتور محمد شفيق** وهو على قيد الحياة ويبلغ من العمر الآن 98 سنة. أو معجم **أماوال** للكاتب الليبي مادغيس أومادي أو مادغيس محمد، الذي يفضل تسمية نفسه أومادي وهي النطق الأمازيغي لمحمد كما قال لي هو نفسه. وتارة يعود المؤلف إلى مقابلاته مع الخبير في كلام آزناكه أحمد ولد يوباه التندغي؛ نظرا لعدم اطلاعه على معجم في هذا المجال.

هذا فضلا عن عودته للمعاجم العربية القديمة كلسان العرب لابن منظور، أو مقاييس اللغة لابن فارس، أو القاموس لمجد الدين الفيروز آبادي، أو فقه اللغة للثعالبي، أو المعاجم الحديثة مثل معجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

تاريخ دراسات اللهجة الحسانية

من المعلوم أن اللهجة الحسانية وخاصة معجمها قد نال حظا من الدراسة والبحث من طرف الناطقين بهذه اللهجة، وإن كان ذلك قليلا بالمقارنة مع الكثير من الدراسات التي تمت على أيدي فرنسيين في الغالب أو على أيدي باحثين إنجليز أو إسبان أحيانا، وسأتناول بشكل موجز أبرز هذه الدراسات المعجمية بادئا بالدراسات الأجنبية والتي يمكن تصنيفها إلى مرحلتين:

أولا: دراسات تخدم المشروع الاستعماري

هذه الدراسات، وهي فرنسية في الغالب تعود لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد قام بها إداريون ضباط ورجال دين فرنسيون في إطار سعيهم للتمهيد والتوطيد للمشروع الاستعماري الفرنسي بمجمله، وهو مشروع يسعى في بعض استراتيجيته إلى فهم الشعوب التي يروم إخضاعها والسيطرة عليها عن طريق فهم تاريخها وثقافتها، ويمكن الحديث عن ثلاثة مؤلفين كان له السبق في هذا المجال.

على رأس هؤلاء الوالي الفرنسي العام بالسنغال الجنرال لويس فيدريب المتوفى في 28 سبتمبر 1889 الذي ألف كتابا تناول فيه بالدراسة بعض اللهجات المتداولة في المجال السنغالي الموريتاني وعنوانه: **اللغات السنغالية: الولوفية، العربية الحسانية، السوننكية، السيريرية، المفاهيم النحوية**، وفيه فصل خاص باللهجة الحسانية ضمنه بشكل موجز بعض الخصائص النحوية، وضمنه معجما لبعض المفردات الحسانية ومقابلها بالفرنسية، بالإضافة إلى عدد كثير من العبارات الحسانية المتداولة والكثيرة الاستعمال. وله كتاب ثان بعنوان **كلام آزناگة القبائل السنغالية: مساهمة في دراسة اللغة البربرية**، وقد نشر سنة 1877م، وهذا الكتاب، وإن لم يكن عن اللهجة الحسانية، إلا أن فيه شرحا لمعجم صنهاجي غزير أغلبه متداول في الحسانية. ومن الملاحظ أن المؤلفين الفرنسيين في هذه الفترة يضمون في دراساتهم موريتانيا إلى السنغال، ويجعلونها ضمن المناطق الملحقة به.

ونجد كذلك الراهب الفرنسي ماري برنار بواسرو (Marie Bernard Boisroux) المتوفى سنة 1903م، وهو رجل دين مسيحي ومدير إعدادية مدينة سان لويس اندر، وقد ألف كتابا في الحسانية من مجلدين بعنوان: **منهجية العربية المنطوقة "لهجة السنغال"** (Méthode d'arabe parlé (idiome du Sénégal)، والمجلد الأول فيه العديد من الدروس يهدف منها لتعلم الحسانية وطريقة قراءتها ونطق ألفاظها، وفيه الكثير من الألفاظ المعجمية المتداولة في تلك الفترة، ومن أبرز ما في المجلد الثاني دراسة موسعة عن نحو اللهجة الحسانية وغير ذلك.

والمؤلف الثالث هو الضابط والترجمان الفرنسي آلبير رنييه (Albert Reynier) فله كتاب بعنوان **منهج تعلم لهجة البيضان** وقد صدر في تونس سنة 1909، وهو كتاب من 264 صفحة، وفيه أربعة فصول: أولهما عن النحو الحساني، وثانيها عن بعض المفردات الحسانية، وثالث عن الحوار في الحسانية، ورابع عن نصوص حسانية. والترجمان رينييه ممن يميلون إلى تفصيح الحسانية، وإرجاع أغلب معجمها إلى العربية الفصحى، مع بعض التعسف أحيانا.

وهذه الدراسات المنسوبة لهؤلاء المؤلفين الثلاثة يجمعها كلها السعي لإقامة علاقة مع متكلمي الحسانية، علاقة من شأنها مد جسور بين الفرنسين وبين متكلمي الحسانية. فالواضح عند فحص هذه الكتب أن الجامع

بينها هو: الوقوف على نماذج محدودة من قواعد الحسانية النحوية، والقليل من معجمها، والإكثار من التعابير والجمل المستعملة يوميا عند البيظان، فالهدف عملي وهو وضع اليد على العبارات التي تسهل التواصل. وقد تميزت هذه الاعمال بالبساطة والمحدودية في معظمها والسطحية في معالجتها لمواضيعها وأغراضها.

ثانيا: دراسات ذات طابع أكاديمي

من أبرز الدراسات التي تناولت الحسانية تناولا أكاديميا ما قام به المستشرق الفرنسي رينيه باسي (René Basset) المتوفى بالجزائر في 4 يناير 1924، ففي كتابه **مهمة بالسنغال** حين عقد فصلا هاما استعرض معجما حسانيا شرحه بالفرنسية، وكأنه يصحح وينقح ما قام به لويس فيديرب في نهاية القرن التاسع عشر.

وقد نشر الرائد آندريه ترانكار (Andre Trancart) مقاله ذا الطابع المعجمي: **المراعي في ظهر آدرار** سنة 1940، وهو منشور في مجلة المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء.

ولا بد من وقفة مع إداري المستعمرات المساعد بول ديبيبه (Paul Dubié)، الذي عمل طويلا في بوتلميت والمذرذره، وتزوج هنالك، وقد قد ترك مقالات ذات طابع معجمي منها مقاله عن **وحدات قياس الزمن عن البيظان** الذي نشر في مجلة المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء سنة 1951، وكذلك مقاله الي عنوانه **الحيز الناطق باللغة البربرية** ألذي نشره نفس المعهد سنة 1940.

ولمفتش التعليم المزدوج مارسيل فولانفان (Marcel Follenfant) مقال طريف عنوانه **محاولة لكتابة أسماء البيضان في الحوض** وهو منشور سنة 1937 بمجلة الدراسات السودانية.

وقد كتب روجيه بييريه (Roger Pierret) كتابه **دراسة اللهجة الحسانية في المناطق الصحراوية والساحلية** ونشر سنة 1948م في 520 صفحة، والكتاب دراسة استند فيها المؤلف إلى استبيانات واستطلاعات ميدانية وقسمها إلى أربعة أقسام: مبحث نحوي، ومبحث عن الألفاظ، ومبحث حول النصوص، والرابع والأهم معجم فرنسي حساني.

ومن الدراسات ذات الطابع المعجمي المفيد كتاب النقيب كلود لوبورن (Capitaine Claude Le Borgne) المتوفى عن 99 سنة يوم 15 يناير 2022 بفيرساي بفرنسا. فقد كتب مقالا مفيدا بعنوان **المعجم الفني للجمل بموريتانيا** وقد نشره المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء سنة 1953.

وللمعلم والمفتش الفرنسي مارك لونوبل (Marc Lenoble)، الذي عمل طويلا مفتشا يجوب مناطق موريتانيا على ظهر الجمل، والذي كان من أوائل مديري مدرسة تكوين المعلمين بنواكشوط، مقال مهم في معجم الحسانية حول **صيغ الخطاب المهذب في الحسانية**، وهي دراسة مفيدة عن المعجم الأخلاقي في الحسانية، والمقال موجود ضمن أرشيف مركز الدراسات العليا لإفريقيا وآسيا المعاصرة بباريس (CHEAM).

وفي سنة 1962 نشر الباحث الفرنسي المهتم بمنقطة أزواد ف. بوسيبي (F Poussibet) مقاله **دليل الألفاظ الجغرافية البيظانية في منطقة تنبكتو**. ونشر في نفس السنة مقاله حول **المعجم الحساني الخاص**

بألفاظ الرصد الجوي. وكلا المقالين منشور في مجلة المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء. وفي نفس السنة نشر مقاله عن **معجم ألفاظ النباتات عن البرابيش وقبيلة الركاكده من كنتة**.

ومن أبزر هؤلاء المؤلفين المعاصرين المستشرق اليهودي ذو الأصل التونسي دافيد كوهين، الذي عاش 91 سنة قبل أن يموت في مرسيليا في 9 مارس 2013م، فقد نشر كتابه **اللهجة العربية الحسانية بموريتانيا** سنة 1963 والذي اعتمد كثيرا على الباحث الموريتاني محمد ولد مولود ولد داداه. وهو كتاب قدم فيه المؤلف مساهمة صارمة عن الصوتيات، وأعطى تقديما عميقا عن الصرف في الحسانية.

كما ظهر باحثون متميزون في دراسة الحسانية مثل ألبير لوريش (توفي 1957) الذي اعتمد هو الآخر على المختار بن حامدن في العديد من بحوثه. ومن أبرز أعمال ليريش المعجمية مقالته التي عنوانها **محاولة لدراسة اللهجة الحسانية** المنشور سنة 1948 من طرف المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء، وقد كان ليريش مديرا لهذا المعهد فترة طويلة. كما نشر مقالة عن **مقاييس الكيل في اللهجة الحسانية** سنة 1950 وهي من منشورات نفس المعهد. وله كتاب هام جدا بعنوان **أسماء الأماكن الموريتانية** وفيه شروح معجمية لألفاظ حسانية غاية في الأهمية، وقد نشر سنة 1952. وله مقال عن **معجم الإبل في موريتانيا** (نشر 1952)، وآخر عن **المصطلحات الجغرافية عند البيظان** (نشر سنة 1955)، وفي سنة 1958 نشر مقالا بعنوان **ملاحظات حول اللغة البربرية بمورتيانيا**. وقد ترك **المعجم الحساني الفرنسي مخطوطا** غير محرر فجعلت منه الباحثة كاترين تين الشيخ منطلقا لمشروعها المعجمي العملاق.

ومن أبرز هؤلاء الباحثين الفرنسين الذين اهتموا بمعجم الحسانية فينسان مونتي (Vincent Monteil) الذي أعتنق الأسلام بنواكشوط سنة 1977 وتسمى بالمنصور بالله الشافعي، والمتوفى يوم 27 فبراير 2005م. وهو الذي ترجم حوليات تيشيت إلى اللغة الفرنسية، وله كتب هامة حول الحسانية ذات طابع معجمي، ككتابه عن **الجمل في الصحراء الغربية** وقد نشر سنة 1952، وكتابه عن **الغطاء النباتي في الصحراء الغربية** وهو في مجلدين نشرا سنة 1951. وهي كتب في غاية الأهمية بالنسبة للمتهم بمعجم الحسانية.

وللباحث الإنجليزي هاري نوريس (Harry Norris) المتوفي عن 93 سنة في 10 يناير 2019م كتاب هام بعنوان **الأدب الشعبي والأغاني الشنقيطية** (Shinqiٹi folk Literature and Song) المنشور سنة 1968 وفيه فصل هام عن الحسانية والأمازيغية بموريتانيا، وقد توسع في ذلك الفصل في أطروحة دافيد كوهين في كتابه عن الحسانية.

وممن اعتنى بالحسانية من المعاصرين ومعجمها عناية غزيرة، وأعطاها من الوقت والجهد الشيء الكثير الباحثة الفرنسية المتميزة كاترين تين الشيخ، وهي زوجة عالم الاجتماع عبد الودود ولد الشيخ. ذلك أن السيدة كاترين خصصت قرابة نصف قرن من العمل الدؤوب والبحث الجاد للهجة الحسانية ولكلام أزناگه، ابتداء باطروحتها تحت إشراف دافيد كوهين سنة 1976، مرورا بالقاموس الحساني-الفرنسي والمعجم الفرنسي-الحساني، والقاموس الأزناگي-الفرنسي ومعجمه الفرنسي-الأزناگي، ناهيك عن ما يربو على 150 مقالا في اللسانيات المقارنة المتعلقة بالحسانية وبكلام أزناگه والتي كان تم نشر البعض منها في المجلدين الذين نشرا في الرباط من طرف معهد الدراسات الصحراوية، وغير ذلك. فقد انصبت اهتمامات هذه الباحثة على اللهجة الحسانية أصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها وعروضها وبلاغتها. ويلاحظ المتهم تلك العناية والإتقان اللذان ميزا المعجم الحساني الفرنسي، الذي صدر منه حتى الآن تسعة مجلدات آخرها ينتهي بحرف القاف وقد تم نشرها تباعا من سنة 1988 إلى سنة 2024م. والمجلد التاسع والأخير موجود على الشبكة.

وفي سنة 2004 نشر البروفيسور الأمريكي جيفري هيث (Jeffrey Heath) المولود سنة 1949 **معجم الحسانية العربي (مالي) الإنجليزي الفرنسي** في مجلد واحد. ويوثق هذا القاموس النصوص الشعرية والإثنوغرافية يتحدث بها في المناطق الساحلية والصحراوية بالقرب من تمبكتو ومدينة غاو معتمدا في المقام الأول على التسجيلات والدراسات المعجمية التي أجريت في أواخر الثمانينيات. ويشرح هذا المعجم الألفاظ الحسانية باللغتين الفرنسية والإنجليزية لمخاطبة جمهور متعدد اللغات.

أما الجامعي الدكتور أحمد سالم ولد محمد بابه وهو أستاذ اللسانيات بالجامعات الإسبانية فقد نشر سنة 2019 المعجم الحساني الإسباني (Español– iccionario Ḥassāniyya)، ويسد هذا المعجم فجوة في البحث في اللهجات العربية بشكل عام، وفي اللهجات المغاربية بشكل خاص. وهو يحتوي على جزء كبير من المفردات المتداولة في مجال اللهجة الحسانية، وقد بين المؤلف طبيعتها البدوية. تم جمع اللغة الحسانية العربية الموجودة في هذا القاموس من مناطق مختلفة من المجال المذكور وخصوصا وسط وغرب وجنوب موريتانيا، بما في ذلك مدينة نواكشوط. وبالإضافة إلى المفردات المتداولة، يشتمل المجلد في معظم المدخلات عددا كبير من العبارات والأمثال والمصطلحات الحسانية التي تنتمي إلى مجالات دلالية مختلفة. كما أنه يحتوي على مصطلحات جديدة، مع ملحق يلخص نحو اللهجة ، ووبعض المراجع الببليوغرافية حول هذه اللهجة، وفي المعجم أكثر من 4500 لفظ، و3000 مثل وعبارة.

ثالثا: دراسات الحسانية باللغة العربية

فيما يخص الدراسات التي كتبت باللغة العربية، فينبغي أن نذكر أنه في سنة 1911 أصدر سيدي أحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي (المتوفى 18 رمضان 1331هـ أي 20 أغسطس 1913م) كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، والذي تحدث في نهايته عن الحسانية والوضع اللغوي الموريتاني عموما، وقد اعتنى به الباحثون الفرنسيون وغيرهم كثيرا وترجموا ما ذكره عن الحسانية وأمثالها وغير ذلك، خصوصا الإداري الفرنسي جان لويس بيريس المتوفى في 29 أبريل 1974م الذي ترجم الأمثال الحسانية الواردة في الوسيط. وكذلك الأستاذ الجزائري مراد تفاحي، الذي عمل طويلا بمدارس العصابة والترارزة والبراكنة، فإنه ترجم أبرز ما في الوسيط من التاريخ والاجتماع والثقافة الشعبية، وتقع ترجمة تفاحي للوسيط في 147 صفحة، وقد نشرها المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء سنة 1953. كما تناول الباحث والسياسي الموريتاني أحمد بابه بن أحمد مسكه المتوفى 14 مارس 2016 كتاب الوسيط بالدرس، وأعطى للحسانية جانبا من اهتمامه بالوسيط، وذلك وفي سنة 1970، حين كتب رسالة لنيل الدكتوراه عن التاريخ الموريتاني: بعنوان "الوسيط: خريطة لموريتانيا في بداية القرن العشرين" (Al Wasit: Tableau de la mauritanie au début du XXe siècle)، وهي منشورة.

وفي مقدمة الباحثين الموريتانيين الذين أصلوا للبحث الأكاديمي في مجال الحسانية تأصيلا الباحث الدكتور محمدو ولد أحظانا. وقد أعطت بحوثه لهذه اللهجة عمقها المعرفي وتأصيلها، ووطدت نقاشاته للباحثين منجها رصينا واجترحت لهم شبكة من الاصطلاحات مبتكرة من شأنها مفهمة الكثير من الظواهر الخاصة باللهجة الحسانية. ومقالات الدكتور ولد حظانا حول الحسانية تبشر بمشروع فكري رائد، ونظرة عميقة لدراسة هذه اللهجة، والعديد منها منشور على الشبكة أو مطبوع.

ولا شك أن ما نشره وينشره الباحث الصحراوي غالي الزبير وخصوصا كتابه **نظرات في اللهجة الحسانية**، يعد خدمة جليلة لهذه اللهجة من حيث حصافته وسعة اطلاع صاحبه وأهمية النتائج التي يتوصل إليها في بحوثه.

ومن أبرز الدراسات التي تناولت المعجم الحساني كتاب **"الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط"**، وهو من تأليف الأديب إسماعيل ولد محمد يحظيه ولد الحسن، وكانت الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا الكتاب الموسوعي قد صدرت عن دار نشر مولاي الحسن ول المختار ول الحسن، وصدر الجزء الرابع عن وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقة مع البرلمان بموريتانيا. وقد وظف إسماعيل موسوعيته الأدبية، وكونه شاعرا بالفصحى والحسانية فساق في هذا المعجم شواهد فصيحة وحسانية كثيرة. ويميل إسماعيل إلى تفصيح الكثير من الألفاظ الحسانية، والبحث لها عن أصول في الفصحى، وهو توجه عند بعض الباحثين. ، قد يستساغ أحيانا وقد يكون فيه تعسف أحيانا أخرى.

ولصديقي إبراهيم الحَيْسن مساهمات جليلة في خدمة اللهجة الحسانية معجمها وتراثا، وقد أصدر إبراهيم أكثر من عشرين مؤلفا تناولت في العديد منها أهمية اللهجة الحسانية من خلال تأليفه عن ألأطعمة والأشربة في الصحراء والطبيخ وآداب المائدة عند البيضان، والمرأة في الأمثال الشعبية وغير ذلك.

وللشاعر الدكتور الدي ولد آدبه وللإداري الأديب محمد فال بن عبد اللطيف وللباحثة عزيزة بنت البرناوي وغير هؤلاء ممن يضيق هذا العرض المحدود في وسائله والموجز في محتواه عن ذكرهم مساهمات عزيزة وبحوث مفيدة، فليجدوا هنا مني الاعتذار عن عدم التوسع والحديث عن جهودم المشكورة وسعيهم المشهود.

وكنت قد حققت كتاب مروك الحرف ونشره مركز الدراسات الصحراوية بالرباط بالمغرب سنة 2016، وقد يكون أول كتاب ألف باللهجة الحسانية، وفيه معجم حساني طريف. كما كتبت الكثير من المقالات التي تناولت المعجم الحساني حيث قمت بنشر مقالات أحدها عن معجم الأزمة في الحسانية وآخر عن معجم الأمكنة وآخر عن المكاييل ورابع عن معجم السوائل وخامس عن معجم العملات والتعامل في الحسانية، وكلها مقالات موجودة في الشبكة.

ولا شك أن هنالك الكثير من الدراسات المحلية التي تناولت المعجم الحساني، وكذلك المذكرات والأطرحات التي لم أطلع عليها مع الأسف، هذا فضلا عن الأعمال التي أعدها كتاب من مجتمع البيظان في الصحراء وأزواد والمغرب والجزائر، أو كتاب من غير البيظان اهتموا بالمعجم الحساني ودرسوه. ففي الشبكة إشارات إلى بعض ذلك، لكني لم أقف على تلك النصوص.

ما ذا أضاف كتاب آمعيط للدراسات المعجمية؟

يكتسي هذا الكتاب أهمية بالغة، من حيث منهجه ومن حيث ما توصل إليه المؤلف من نتائج وما طرح من تساؤلات، ودون الدخول في كثير من التفاصيل يمكن الوقوف على جوانب من تلك الأهمية؛ إذ استعرض المؤلف أفكارا أصيلة واجتهد اجتهادات نابعة من تفكير نقدي عميق، ومن ذلك:

أولا: فكرة المؤلف حول كتابة اللهجة الحسانية، فقد استعرض اجتهادات، ويبدو من فحواها أن فكرته فيها أن يكون النطق هو المحددَ الأول في كتابة الكلمة، فالحسانية كغيرها من اللهجات العربية تميل ألى اختصار المقاطع ما ينتج عن ذلك من تسكين بعض حروف الكلمة، التي نجدها في النظام الفصيح غير ساكنة، وقد اقترح المؤلف جملة من الطرق لكتابة همزة القطع في أول الكلمة إن كانت مكسورة، وجعل همزرة وصل مكسورة في بداية الكلمات البادئة بحرف ساكن، وإثبات هاء السكتة في نهاية الكلمات المؤنثة: لبيان أصل الكلمة.

وثانيا: عندما دخل المؤلف في صميم موضوع الكتاب فإنه وزعه إلى خمسة وثلاثين درسا تعرض في أغلبها إلى انتقاء بعض الألفاظ الحسانية، وشرحها شرحا يبين في الغالب أصلها الفصيح أو الأمازيغي أو الإفريقي... إلخ، محيلا إلى المرجع الذي اعتمد عليه في ذلك التأصيل.

وقد توسع في شرح بعض الكلمات، مبينا أن ذلك الشرح الطويل والمستقصي، هو ما يحلم به بخصوص طريقة الشرح للمعجم الحساني المنشود. ومن ذلك لفظة **الكج** التي أفرد لها ما يقارب أربع صفحات. كما توسع في شرح كلمة **الحرطاني** وفي شرح كلمة **المحظرة**، وقد أبدع في كل ذلك أيما إبداع، وخصوصا كلمة **المحظرة** التي حاول أستاذنا الخليل النحوي وغيره تأصيلها بإرجاعها، وإن بتعسف، إلى أصل فصيح فهل هو **الحضور** أو **الحظيرة**. ويذهب المؤلف إلى أن أصلها أمازيغي، فجذرها هو نفس جذر اللفظ الأمازيغي **آمحضار** أي مؤدب الأطفال، و**إمحضر** تقال للتلميذ وجمعه **إمحضرن**.

وثالثا: عقد المؤلف بابا مهما للأحاجي الحسانية فشرح ستا عشرين أحجية، واستعرض بالشرح خمس مجموعات من الأمثلة الحسانية في الأربعة الأولى خمسة عشر مثلا لكل مجموعة وفي الخامسة 21 مثلا أي ما مجموعة واحد وثمانون مثلا شعبيا. ومنهجه في شرح المثل أن يعطي معاني مفرداته واحدة واحدة ثم بعد ذلك يعطي معناه الحرفي وأخيرا يوضح مضربه.

ملاحظات نقدية

لعل إعجابي بهذا العمل، واستمتاعي بأسلوبه، وتعلقي بطريقة عرضه عوامل جعلتني لا أرى معايبه إن كانت موجودة، ولا اكتشف مآخذ عليه تذكر.

وإن كان لا بد للقارئ المنصف أن يعطي رأيه فيما أبدع فيه المؤلف، وأن يبين ما ظهر له أن فيها تقصيرا فإنني لاحظت:

- أن المؤلف يعمم أحيانا في موضع ليس له أن يعمم فيه. ففي الصفحة 13 مثلا يقول إن هناك إهمالا شبه كامل لحرف الغين وإبداله بالقاف، وأنها سنة متبعة في جميع **كل** اللهجات العربية، وهو تعميم في نظري. ذلك أن البيئة التي عشت فيها شخصيا عكس هذا تماما، فحرف الغين حاضر في جيمع الكلمات الحسانية ذات الأصل الفصيح الذي فيه غين، مثل: الغبرة، والغيرة، وامبغدد والسمغه، بل إن بعض الكلمات التي في أصلها الفصيح قاف قد تنطق عندنا بالغين مثل: الغبه وهي القبة.
- لم أعرف لماذا عندما تعرض المؤلف لمادة **عيط** لم يذكر عنوان كتابه، فكان من المناسب عندي أن يذكره ويشرح سبب اختياره لهذا اللفظ. وبالمناسبة فهذا اللفظ مما تختلف مناطق موريتانيا في نطقه،

ففي منطقة العصابة وهي منطقة المؤلف ينطق بمد في بدايته، وفي الترارزة ينطف دون مد فيقال "لمعيط" ومنه **"مشو لمعيط شور الشوف"**.

- هنالك ملاحظة، ليست خاصة بكتاب **آمعيط**، بل هي عند أغلب من يكتبون الألفاظ الحسانية ويضبطونها بالشكل ويحرصون على وضح الحركات على الحروف، فهنالك حركة في الحسانية كثيرة الورود، وفيها إشمام واضح أي تزاحم بين حركتين لا نعرف أيهما الغالب. فمثلا في الصفحة 159 كتب وفي الدرس الرابع والثلاثين حيث انتقى المؤلف مائة مفردة حسانية، نجده ذكر **آسلاي**، أي القصعة الكبيرة، ووضع كسرة تحت السين، فصارت الكلمة عند قراءتها **آسِلاي**، مع أن النطق بها ليس متمحضا تماما للكسرة بل هي حركة بين الكسرة والسكون، فلا هي كسرة ولا هي سكون، لكنها هما معا، وهذا هو معنى الإشمام. وفي الصفحة الموالية كتب **آفگراش** بكسر الفاء **آفِگراش**، والحركة ليس كسرة تماما وإنما هي كسرة زاحمها سكون. وفي الصفحة 165 أورد كلمة **گرفاف** بكسر القاف المعقودة، **گِرفاف** وهي كسرة مشمومة بالفتح أو الضم بحسب المناطق الموريتانية. وهذا كثير في **كتاب آمعيط** وفي غيره. وتطرح هذه الظاهرة الصوتية مسألة كتابة الحركات في الحسانية، وضرورة التفكير في حل ظاهرة إشمامها، والحل ينبغي أن يكون باستحداث أنماط من الشكل تعبر عن ظاهر الإشمام بين الحركات، دون اللجوء إلى نظام التشكيل الفصيح الذي لا يلائم هذه الظاهرة.

- كنت أفضل أن يشفع المؤلف شرحه للمفردات في الدروس التي قدمها ببعض نصوص الشعر الحساني. فمن شأن ذلك الإجراء أن يجمع بين المعجم والأدب وهو مسلك معروف عند القدماء. ومن شأنه أيضا أن يزيد في فهم معاني المفردات، وأن يراوح بين صرامة الدرس المعجمي وبين طرافة النص الشعري.

وفي هذا السياق شرح المؤلف في الصفحة 120 يَجْبَى ومشتقاتها الجَبِي والجبايْ وجمعها الجبَّاي، ومعناها كما قال المؤلف زيارة المريض، ومن معانيها أيضا كما المؤلف النظر إلى القعر "جابي في البير". وكان بودي أن يتابع المؤلف، وبمقدوره ذلك، في شرح اشتقاقات أخرى لهذا اللفظ. فمثلا لدينا صيغة فعَّل من هذا الفعل وهي "جبَّاه اعل كذاش" أي أوصله إليه بإرغام. ومن ذلك قول الشاعر المفلق والظريف أوفى بن يحظيه بن عبد الودود الجكني (توفي يوم الثلاثاء 4 جمادى الثانية 1365هـ أي 7 مايو 1946م)، وقد والده العلامة شيخ شيوخنا يحظيه المشهور بلقبه "ابَّاه" (توفي 1358هـ/ 1939م) ممن يحرمون الشاي تورعا. وفي مرة من المرات زار يحيظه بوتلميت بدعوة من العلامة السني بابه بن الشيخ سيديا (المتوفى يوم الخميس 3 جمادى الأخيرة 1342هـ الموافق 8 يناير 1924م)، وشاءت الأقدار أن يصاب يحظيه بصداع شديد، فجاءه الطبيب الشهير محمد بن أوفى (توفي 1327هـ/ 1909م)، وهو خال أوفى بن يحظيه؛ لأن أمه عائشة بنت أوفى، وبعد معاينة محمد بن أوفى ليحظيه قال له: لا علاج لك إلا الشاي، فتوقف يحظيه عن ذلك أول الأمر، لكن برأي من بابه بن الشيخ سيديا ومن بعض تلامذته لان لهم يحيظه وشرب الشاي، فشفاه الله تعالى على إثر ذلك، فقال ابنه أوفى:

إنَّ الأتايَ علي التحريم **"جَبَّاهُ"** قوم وأولُ من **"جَبَّاهُ"** أبّاهُ
داواهُ بالشاي طبّابٌ فقال له: لبِّ النداء علي شايٍ، فلبّاه
ما خلت داءً سوى "التدْوَاخِ" ينفعه شايٌ، ولكنما ذا الشايُ "زَبَّاهُ"

كما شرح المؤلف لفظ **ئكرطي** بأنه يعني البكاء المرتفع كبكاء المتألم من لدغة العقرب. ومن معانيها أيضا، المرور عن قرب، أو **"اتجولي"** كما هو مفهوم من طلعة سيديا ولد هدار (توفي 1945) في مدح الأمير أحمد سالم ولد إبراهيم السالم (توفي 28 ذي الحجة 1348هـ/ 25 مايو 1930م):

مول الملك الحي السبحان تباركَ وتعالَ
درْجَه عاطيهَ ما تنهان ما جابر حد الْذاك آلَ
طَرُّو حاله ذاك الِّ بانْ أحمد سالم يالرجالَ
ذاك أمير الدرجه والشان تتگامط بيه الزمالَ
مستگبل نافد مورتان **امكرطي** من ساحل صالَ
فوگُ ظلاَّلَ فاردان والدرجه فوگ الظلاَّلَ
ذيك الحاله من فم اتبان هي حالة ذيك الحالَ

وكذلك عند شرح المؤلف لفظ **العارظ** بأنه أول فصل تساقط المطر، أي الشهر الأول من فصل الخريف، وعلى هذا فالكلمة من حقل الزمن الدلالي. وأعتقد أن لهذا اللفظ معنى آخر وهو أول ما تنبته الأرض من العشب، قب أن يتكاثر ويطول وينتشر، كما في قول بابه ولد هدار في مدح الشيخ محمد عبد الحي بن سيدي أحمد بن الصبار المجلسي (توفي سنة 1345هـ/ 1927م):

مَا كِيفَكْ شَيْخْ الْيَوْمْ دَابْ يَالشَّيْخْ أعْلَ وُجْهْ اتّرَابْ
وَالْمَعْطَ مَانَكْ فِيهْ شَابْ صَارمْ مَعْنَاهَ گَارظْ
واللِّ يَگْرظْ واللِّي اغْتَابْ بِمْشِي نَمَّامْ وُگَارِظْ
مَاذَ لَيَّنْتْ امْنْ ارْگَابْ كَانْ أگْسَ مِنْ الإمْعَارِظْ
منْ عَنْدْ انْدَرْ إلَي اغْرَابْ للزّيرَه لإبْلِمْعَارِظْ
عَارظْ لِلّي جَ باشْرَابْ وُبْلُكِيلْ اتْجِي عَارظْ
يَا عَارِظْ سَطْرتْ كلْ بَابْ يَالِمْجَوَّدْ يَالْعَارِظْ
يَا بَحْرْ العِلْمْ وُيَالسْحَابْ الْمَعْلُومَه **والْعَارظْ**
يَا عَارظْ حَدْ ابْلَا اجْدِرْ لَا نِمْشِي مَانِي غَارظْ
الاعْوَارِظْ خَيْرَكْ يَا اجْدِرْ الأخْظَرْ يَابِلِمْعَارِظْ

خاتمة:

لا يسعني إلا أن أهنئ المهتمين بالحسانية دراسة وبحثا على هذا الكتاب الجزيل، الذي يلمس قارئه، من بدايته حتى نهايته، مدى غيرة المؤلف **عمر سيدي محمد حيبله** على اللهجة الحسانية، ومدى تفانيه في خدمتها، ومدى حرصه على الدفع بإعداد معجم شامل لها. فقد كان المؤلف يناقش الأفكار ويقترح الاجتهادات ويطرح التساؤلات بكثير من سعة الأفق، ونهج التجرد، والاحتكام إلى المراجع المعتمدة.

انتهى.

ملاحق

أولا: صفحة من كتاب منهجية العربية المنطوقة "لهجة السنغال"

(Méthode d'arabe parlé (idiome du Sénégal)،

IV

Les traitants qui ne savent pas écrire le français écrivent en lettres arabes les noms de leurs marchandises, à peu près comme ci-dessous. Ces noms sont français, arabes ou wolofs.

Guinée filature جِن فيلاتور

Guinée belge جِن بلس

Guinée triangle جِن تریاكل

Liménéas لمنياس

Sucreton سكرتع

Calicot blanc تَوَل ابيض

Grande caisse de savon كس صابون كبير

Petite caisse de bleu كس بلور صغير

ثانيا: صورة الباحث اللساني الفرنسي التونسي: دافيد كوهين المتوفى سنة 2013م

مؤلف كتاب: اللهجة العربية الحسانية بموريتانيا

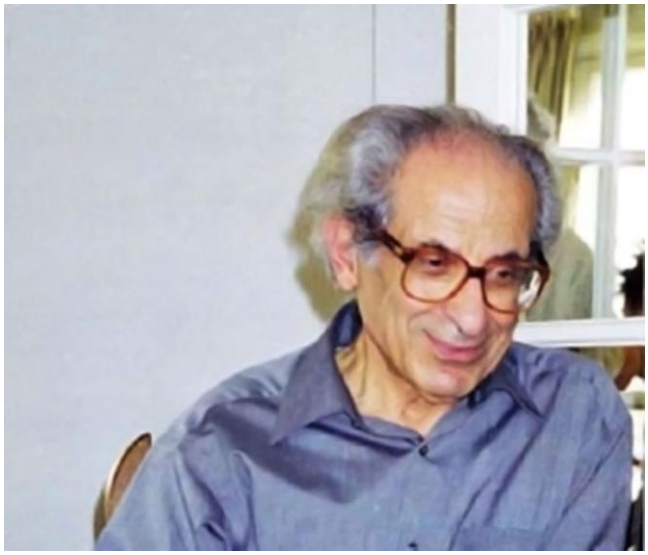

ثالثا: صورة غلاف المعجم الحساني الإسباني لمؤلفه أحمد سالم ولد محمد بابه

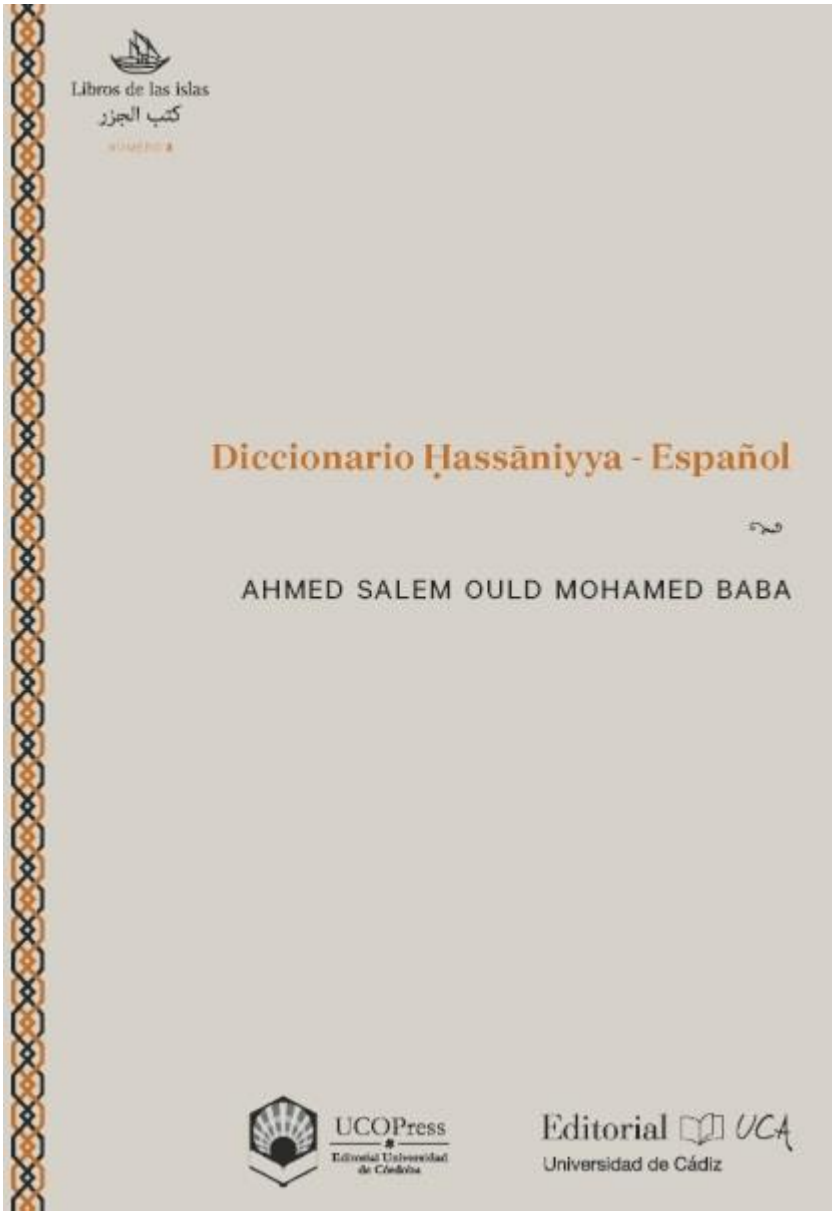

رابعا: صورة غلاف المجلد التاسع من المعجم الحساني-الفرنسي

لمؤلفته كاترين تين الشيخ

MÉDITERRANÉE(S) | Dictionnaire

DICTIONNAIRE ḤASSĀNIYYA-FRANÇAIS
(ARABE DE MAURITANIE)
Volume 9 : gāf/qāf

Catherine Taine-Cheikh

inalco
PRESSES

خامسا: صورة غلاف المعجم الحساني العربي (مالي) الإنجليزي الفرنسي لمؤلفه جيفري هيث